المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

وقف تعظيم الوحيين

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

موضوعات العدد:

- أُسسُ المَنْهَجِ القُرْآنيّ فِي بيَانِ آياتِ الأَحكَامْ.
  د. عادل رشاد غنيم.
- مِياهُ الأَمْطار: (أَهميَّتُهَا واسْتِغْلالُها فِي ضَوْءِ الإِشَارَاتِ القُرْآنِيَّة).
  د. عبد الحي بن دخيل الله المحمدي.
- مُعْجَمُ المَحْكِي فِي القُرآنِ الكَرِيم.
  د. يحيى محمد عامر راشد.
- رِعايةُ السُّنَةِ النَّبَوِيَّةِ لِذَوِي الاْحتِيَاجَاتِ الخَاصَّة.
  د. محمد سيد أحمد شحاته.
- حَدِيث: «أَهلُ الدَّرَجَاتِ العُلَى» (رواية ودراية).
  د. سليمان بن صالح الثنيان.

ملحق المجلة لبحوث طلبة الدراسات العليا:

- طُرُقُ التَّحَمُّلِ وَالأَدَاءِ عِنْدَ القُرَّاء (دراسَةٌ استقرائيَّةٌ تحليليَّة).
  مريم بنت حمدي بن محمد نوفل.

٤

العدد الرابع - السنة الثانية - رجب ١٤٤٠هـ - مارس ٢٠١٩م

المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة

تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

العدد الرابع- السنة الثانية- رجب ١٤٤٠هـ - مارس ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام -الرياض، المملكة العربية السعودية
برقم: (٨٠٤٤)، وتأريخ: ١٤/ ٤/ ١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ٩٩٣٩/ ١٤٣٨
تأريخ: ٢٨/ ١/ ١٤٣٨
ردمد: ١٦٥٨ - ٧٧٤x

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:
البريد الالكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com
مَجَلّةُ تَعْظِيمِ الوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوَحْيَيْنِ،
حي الروابي- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،
المملكة العربية السعودية.
هاتف المجلَّة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩ تحويلة: ١١٥
جوال المجلَّة وواتسآب: ٩٦٦٠٥٣٥٥٢٢١٣٠+
تويتر: @Journaltw

بسم الله الرحمن الرحيم

المواد العلميَّة المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

مجلة تعظيم الوحيين

مِيَاهُ الأَمْطَار
(أَهمِيَتُها واسْتِغْلالُها في ضَوءِ الإِشَارَاتِ القُرْآنِيَّة)

د. عبد الحي بن دخيل الله المحمدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية

dr.abdulhy@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

مياه الأمطار كما أشارت إليها بعض آيات القرآن الكريم.

أهداف البحث:

- إثبات كفاية الأمطار لحاجة الناس إذا أحسنوا التدبير وكفوا عن الإسراف في استعمال الماء.
- إبراز أهمية العناية بالأسباب الشرعية والمادية لتعظيم الاستفادة من مياه الأمطار.
- إبراز عناية القرآن الكريم بالماء عموماً ومياه الأمطار خصوصاً.

مشكلة البحث:

- ما الآيات القرآنية التي أشارت إلى استغلال مياه الأمطار في سد حاجة الناس؟
- ما صحة القول بأن انقطاع الأمطار لا علاقة له بالمعاصي؟

نتائج البحث:

أهم نتيجة بيَّنها البحث أن الله قد جعل في باطن الأرض من التجاويف الحاملة للماء ما يساعد على تخزين مياه الأمطار فيها، وعلامتها التي أشار إليها القرآن هي منابع العيون، فيقوم الإنسان بشحنها طبيعياً أو صناعياً.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

ماء – مطر – القرآن الكريم – تخزين – تبذير

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الماء عصب الحياة ولا تقوم حياة بدونه كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]، وجاءت نصوص الكتاب والسنة وفيرة في الحض على العناية بالماء والمحافظة عليه وعدم التبذير في استعماله وصيانته من النجاسات المفسدة له. ولما كان القرآن قد تضمن نصوصاً كثيرة تدور حول هذا الموضوع بدا لي أن أكتب فيه **وسميته:**

مياه الأمطار، أهميتها واستغلالها في ضوء الإشارات القرآنية

أهمية الموضوع:

أن الله تعالى بين أن أصل الأرزاق يعود إلى جهتين وهما ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض والثاني نتيجة للأول، فأما النازل من السماء فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [سورة غافر: ١٣] فالله سبحانه وتعالى أنزل من السماء رزق الدنيا ورزق الآخرة فرزق الدنيا هو المطر، ورزق الآخرة هو الوحي الذي تحصل به حياة الأرواح، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢] فسمى الوحي روحاً لأن به تحيا الأرواح، وسمى المطر رزقاً لأن به حياة الأشباح[(١)].

السبب الباعث:

١ - حاجة الناس الماسة للماء خاصة في ظل الظروف الصحراوية التي تعيشها الجزيرة العربية وضياع الأمطار وهدرها بين البخر وضياعها في البحار عند نزولها، فقد عَنَّ لي أن أتأمل في كتاب الله

---

(١) بتصرف يسير من **تفسير السعدي** (ص: ٤١٦).

تعالى لأستخرج منه بعض الإشارات والمعاني، التي تساعد على حصد الأمطار[1] واستثمارها، والعناية بهذا الرزق العظيم، وفق ما سخره الله لنا في الأرض، فنأخذ من الكتاب المسطور ما يعين على كشف خبايا الكتاب المنظور، فتحصل المنافع الدينية بتعظيم الله والتفكر في آلائه الكونية، وتحصل المنافع الدنيوية باستغلال ما خلق الله تعالى في هذا الكون الباهر.

٢ - المساهمة في نشر الوعي المنبثق من كتاب الله الداعي للمحافظة على مياه الأمطار وحصدها وعدم التبذير فيها وحسن التدبير لها.

٣ - تبيين كلام المفسرين للآيات التي تحدثت عن المطر وما يتعلق به.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي القاصر على دراسة مشابهة تناولت مياه الأمطار واستغلالها في ضوء الإشارات القرآنية. ولكن هناك بعض الأبحاث المشابهة في الجملة، منها:

١- الماء ومتعلقاته في القرآن د. محمد السيد بلاسي. بحث منشور في مجلة الحكمة، بريطانيا العدد٢٣ عام ١٤٢٤هـ.

٢- الماء في القرآن الكريم للأستاذ غالب الزعارير طبع مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

٣- الأمن المائي في المملكة العربية السعودية د. إبراهيم الفقي، مجلة الدراسات الأمنية، الرياض عدد٣٦ عام١٤٢٤هـ.

٤- أسباب أمن الماء في القرآن الكريم، للدكتور عبدالعزيز بن صالح العبيد[1] منشور في مجلة الجامعة الإسلامية.

(١) المقصود بحصد الأمطار هو ما يكون من تجميعٍ لماء المطر بعد نزوله بأنواع الحصد المختلفة، وليس المقصود هو ما يسمى باستمطار السحب.

٥-الألفاظ المَعبِّرة عن المطر في القرآن الكريم دراسة دلالية، أ.د. حسين محيسن ختلان البكري مجلة كلية التربية للبنات.

٦-ألفاظ المطر في القران الكريم، الدلالة و الاشارة. عباس صاحب وزميله، مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية.

منهج البحث:

١-دراسة الآيات التي تحدثت عن مياه الأمطار واستخلاص الإشارات المعينة على حفظه واستغلاله.

٢-الرجوع لكتب التفسير المعتمدة في بيان معنى هذه الآيات وعزو الفوائد إلى مراجعها الأصيلة.

٣-تخريج الأحاديث النبوية باختصار فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك وإلا فإني أذكر مَن خرجه وخلاصة الحكم عليه، وغالباً ما أكتفي بحكم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأكتفي بذكر الجزء والصفحة دون ذكر الكتاب والباب لعدم إثقال الحواشي وعدم الحاجة حالياً للتخريج بواسطة الباب والكتاب.

٤-شرح الغريب إذا لزم الأمر من كتب الغريب المعتمدة.

٥-لا أعرج على تراجم الأعلام تخفيفاً للبحث.

تقسيمات البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وتفصيلها كالتالي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع؛ السبب الباعث؛ الدراسات السابقة؛ منهج البحث؛ خطة البحث.

المبحث الأول: تعريف المطر والغيث. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المطر في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الغيث في اللغة.

المطلب الثالث: **خلاصة** الفرق بين المطر والغيث.

المبحث الثاني: أسباب نزول المطر والمحافظة عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب الشرعية لنزول المطر.

المطلب الثاني: أهمية الأسباب المادية المعينة على حفظ المطر بعد نزوله.

المبحث الثالث: الإشارات القرآنية الدالة على أهمية المطر وخزنه واستغلاله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإشارات.

المطلب الثاني: الإشارات الدالة على أهمية المطر.

المطلب الثالث: الإشارات الدالة على خزنه واستغلاله.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

تعريف المطر والغيث:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المطر في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الغيث في اللغة.

المطلب الثالث: خلاصة الفرق بين المطر والغيث.

مجلة تعظيم الوحيين

المطلب الأول: تعريف المطر في اللغة.

قال ابن منظور: «المطر: المَاءُ المُنْسَكِبُ مِنَ السَّحاب. والمَطَرُ: ماءُ السحاب، وَالْجَمْعُ أَمْطارٌ. والمَطَرُ: فِعْل المَطَرِ، وأكثر مَا يَجِيءُ فِي الشِّعْرِ وَهُوَ فِيهِ أَحسن، والمَطْرَةُ: الواحِدَة. ومَطَرَتْهم السَّماءُ تَمْطُرُهُمْ مَطْراً وأَمْطَرَتْهم: أَصابَتْهُم بالمطَرِ، وَهُوَ أَقبحهما؛ ومطَرتِ السماءُ، وأَمْطَرها اللهُ، وَقَدْ مُطِرْنا. وَنَاسٌ يَقُولُونَ: مطَرَتِ السَّماءُ وأَمْطرتْ بِمَعْنًى. وأَمْطرهم اللهُ مَطَراً أَو عَذابًا»[1].

قال ابن فارس: «الْمِيمُ وَالطَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ فِيهِ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا الْغَيْثُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْآخَرُ جِنْسٌ مِنَ الْعَدْوِ. فَالْأَوَّلُ الْمَطَرُ، وَمُطِرْنَا مَطَرًا. وَقَالَ نَاسٌ: لَا يُقَالُ أُمْطِرَ إِلَّا فِي الْعَذَابِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾ [سورة الفرقان:٤٠] وَتَمَطَّرَ الرَّجُلُ: تَعَرَّضَ لِلْمَطَرِ. وَمِنْهُ الْمُسْتَمْطِرُ: طَالِبُ الْخَيْرِ. وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: «تَمَطَّرَ الرَّجُلُ فِي الْأَرْضِ، إِذَا ذَهَبَ. وَالْمُتَمَطِّرُ: الرَّاكِبُ الْفَرَسَ يَجْرِي بِهِ»[2].

وممن فرق بين «مطر» و «أمطر» ابْنُ سِيدَهْ حيث قال: «أَمطَرهم اللهُ فِي الْعَذَابِ خاصَّة. واستدل على هذا المعنى بما جاء في كتاب الله تعالى في ذكر عذاب قوم لوط حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [سورة هود: ٨٢] ثم قال: جَعَلَ الْحِجَارَةَ كالمطر لِنُزُولِهَا مِنَ السَّمَاءِ»[3].

قال الحافظ ابن حجر: «يقال مطرت السماء وأمطرت، ويقال مطرت في الرحمة، وأمطرت في العذاب». ثم ذكر قول سفيان ابن عيينة قال: «ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذابا» ثم تعقبه الحافظ بقوله: وهذا متعقب بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ [سورة النساء: ١٠٢][4] والمطر المذكور في هذه الآية إنما أريد به الغيث، والغيث رحمة من الله، فقد ذكر بعض المفسرين أن علة

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور: (٥/ ١٧٨).
(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ٣٣٢ - ٣٣٣).
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور: (٥/ ١٧٨).
(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر: (١/ ١٨٩).

الرخصة في وضع السلاح في حال المطر والمرض هو: «حصول الأذى بثقل حمل السلاح في المطر؛ لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين، أو لأن حدته تَفْسُد بالبَلَلِ».[(١)]

وحكى الراغب الأصفهاني في المفردات التفريق بين «مطر» و «أمطر» بصيغة التمريض فقال: «وقيل: إن «مطر» يقال في الخير، و«أمطر» في العذاب.[(٢)]

ومما يدل على ضعف استعمال المطر في الشر حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»**[(٣)].

وكذلك حديث أنس بن مالك، قال: أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة، فقال: **«يا رسول الله، هلكت الماشية، هلك العيال، هلك الناس، فرفع رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يديه، يدعو، ورفع الناس أيديهم معه يدعون، قال: فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا، فما زلنا نمطر حتى كانت الجمعة الأخرى، فأتى الرجل إلى نبي الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: يا رسول الله، بَشَق المسافر**[(٤)] **ومنع الطريق»**[(٥)].

---

(١) انظر: **معالم التنزيل** للبغوي (١/ ٦٩٤) **واللباب في علوم الكتاب** لابن عادل الحنبلي (٦/ ٦١٢).

(٢) انظر: **المفردات** للراغب الأصفهاني: (ص: ٤٧٠).

(٣) الحديث **أخرجه البخاري في صحيحه** (١/ ١٦٩) برقم ٨٤٦ **ومسلم في صحيحه** (١/ ٨٣) برقم ٧١

(٤) قال ابن الأثير: فِي حَدِيثِ الِاسْتِسْقَاءِ «بَشَقَ المسافرُ ومُنِع الطريقُ» قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَي انسدّ وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: بَشَقَ: أَسْرَعَ، مِثْل بَشَك. وَقِيلَ مَعْنَاهُ تَأَخَّرَ. وَقِيلَ حُبِسَ. وقيل مَلَّ. وَقِيلَ ضعُف. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: بَشَق لَيْسَ بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ لَثِق مِنَ اللَّثَق: الْوَحْلُ، وَكَذَا هُوَ فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَى لَثَق الثِّيَابِ عَلَى النَّاسِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخرَى لِأَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَمَّا كَثُرَ الْمطَرُ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّهُ لَثِق المالُ. قَالَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَشَق، أَيْ صَارَ مَزِلَّة وزَلَقا، وَالْمِيمُ وَالْبَاءُ يَتَقَارَبَانِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا هُوَ بِالْبَاءِ مِنْ بَشَقْتُ الثوبَ وبَشَكْتُه إِذَا قطعْتَه فِي خِفَّة، أَيْ قُطِع بِالْمُسَافِرِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بِالنُّونِ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَشِق الظَّبْي فِي الحِبالة إِذَا علق فيها. ورجل بَشِقٌ: إِذَا كَانَ مِمَّنْ يَدْخُلُ فِي أُمُورٍ لَا يَكَادُ يخلُص مِنْهَا. انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر** (١/ ١٣٠) **ومشارق الأنوار على صحاح الآثار** للقاضي عياض(١/ ١٠١) **لسان العرب** لابن منظور (١٠/ ٢١) **وتاج العروس** للزبيدي (٢٥/ ٨١)

(٥) الحديث **أخرجه البخاري في صحيحه** (٢/ ٣١) برقم ١٠٢٩

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجاور في العشر التي في وسط الشهر، فإذا كان من حين تمضي عشرون ليلة، ويستقبل إحدى وعشرين يرجع إلى مسكنه، ورجع من كان يجاور معه، ثم إنه أقام في شهر، جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها، فخطب الناس، فأمرهم بما شاء الله، ثم قال: إني كنت أجاور هذه العشر، ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه، وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، قال أبو سعيد الخدري: مطرنا ليلة إحدى وعشرين، فوكف المسجد في مصلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح، ووجهه مبتل طيناً وماءً**»(١).

فهذه الأحاديث وغيرها مما يدل على استعمال المطر في الخير بجلاء.

المطلب الثاني: تعريف الغيث في اللغة.

قال ابن فارس: «الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالثَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْغَوْثُ مِنَ الْإِغَاثَةِ، وَهِيَ الْإِغَاثَةُ وَالنُّصْرَةُ عِنْدَ الشِّدَّةِ»(٢).

وقال ابن منظور: «الغَيْثُ: المَطَرُ والكَلأُ؛ وَقِيلَ: الأَصلُ المَطَرُ، ثُمَّ سُمِّي مَا يَنْبُتُ بِهِ غَيْثاً؛ أَنشد ثَعْلَبُ:

وَمَا زِلْتُ مثلَ الغَيْثِ، يُرْكَبُ مرَّةً ... فيُعْلى، ويُولَى مَرَّةً، فيُثِيبُ

يَقُولُ: أَنا كَشَجَرٍ يؤكل، ثُمَّ يُصيبُه الغَيْثُ فيَرْجِعُ. أَي: يَذْهَبُ مَالِي ثُمَّ يَعُودُ»(٣). وقال أيضاً: «وَرُبَّمَا سُمي السحابُ والنباتُ: غَيْثاً. والغَيْث: الكَلأُ يَنْبُتُ مِنْ مَاءَ السَّمَاءِ»(٤).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٤) برقم ٢١٣
(٢) انظر: **مقاييس اللغة** لابن فارس (٤/ ٤٠٠).
(٣) انظر: **لسان العرب** لابن منظور: (٢/ ١٧٥).
(٤) نفس المصدر السابق.

وفرق الراغب الأصفهاني بين الغوث والغيث فقال: «الغَوْثُ يقال في النّصرة، والغَيْثُ في المطر، واسْتَغَثْتُهُ: طلبت الغوث أو الغيث، فَأَغَاثَنِي من الغوث، وغَاثَنِي من الغيث قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ [سورة الأنفال: ٩] والغَيْثُ: المطر في قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [سورة الحديد: ٢٠]».[١]

قلت: وهذا تفريق لطيف منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم يرد في كتاب الله تعالى لفظ الغوث وإنما جاءت الاستغاثة بمعنييها طلب الغيث وطلب الغوث. ومما يصلح في التمثيل على الاستغاثة بمعنى طلب الغوث قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧].

قال ابن عاشور: والغيث: «ما كان نافعا في وقته، والغيث: المطر الآتي بعد الجفاف، سمي غيثا بالمصدر لأن به غيث الناس المضطرين».[٢] فابن عاشور عليه رحمة الله يشير إلى أن المطر إذا نزل بعد جفافٍ وقحطٍ يسمى غيثاً، لأن فيه معنى الغوث، وأما إذا نزل من دون اضطرار فلا يسمى غيثاً بل يسمى مطراً.

قال القرطبي: «وَالْغَيْثُ: الْمَطَرُ، وَسُمِّيَ الغيث غيثاً لأنه يغيث الْخَلْقَ. وَقَدْ غَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ أَيْ: أَصَابَهَا. وَغَاثَ اللهُ الْبِلَادَ يَغِيثُهَا غَيْثًا. وَغِيثَتِ الْأَرْضُ تُغَاثُ غَيْثًا فَهِيَ أَرْضٌ مَغِيثَةٌ وَمَغْيُوثَةٌ».[٣] وقال أيضاً: «وَالْغَيْثُ مَا كَانَ نَافِعًا فِي وَقْتِهِ، وَالْمَطَرُ قَدْ يَكُونُ نَافِعًا وضاراً في وقته وغير وقته».[٤]

(١) انظر: **المفردات** للراغب الأصفهاني: (ص: ٦١٧).
(٢) انظر: **التحرير والتنوير** لابن عاشور: ٢٥ (/ ١٥٦).
(٣) انظر: **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي: (١٦/ ٢٨).
(٤) نفس المصدر السابق: (١٦/ ٢٩).

المطلب الثالث: خلاصة الفرق بين المطر والغيث.

من خلال ما سبق وبعد استعراض كلام علماء اللغة وبعض المفسرين والتأمل في آيات القرآن نجد أن القرآن الكريم استخدم لفظة «المطر» و «الغيث» ومعانيها على النحو التالي:

أن المطر: قد يكون خيراً وقد يكون شراً؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٠٢].

وأما «أمطر»: فلم يأت في كتاب الله إلا في العذاب. فكل الآيات التي جاء فيها «أمطر» إنما كانت في قوم لوط، ومن المعلوم أن الله تعالى عذبهم برميهم بحجارة نزلت عليهم من السماء وليس بالمطر الذي هو الماء، وورد كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال:٣٢] ولما أشبه نزول الحجارة نزول المطر عبر به.

وأما الغيث: فقد جاء في القرآن في ستة مواضع **ثلاثة منها بمعنى طلب الغوث وهي**:

١ - قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٩].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧].

وثلاثة بمعنى الغيث بمعنى المطر، وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [سورة لقمان: ٣٤].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

٣ - وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

وبهذا يظهر أن الغيث بمعنى المطر في القرآن جاء في سياق التفضل والنعمة، لما فيه من معنى الإغاثة، والإغاثة لا تكون بالشر، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني:

أسباب نزول المطر والمحافظة عليه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب الشرعية لنزول المطر.

المطلب الثاني: أهمية الأسباب المادية المعينة على حفظ المطر بعد نزوله.

المطلب الأول: الأسباب الشرعية لنزول المطر.

السبب الأول: الاستغفار والتوبة.

الدليل قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [سورة نوح:١٠-١٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود:٥٢].

ونصوص السنة دالة أيضاً على هذا المعنى كما سيأتي بإذن الله تعالى. فإن الذنوب من أعظم أسباب الحرمان من الأرزاق، والمطر أساس كل رزق، ولا دواء للذنوب والمعاصي إلا بالتوبة والاستغفار، فمتى ما داوم الناس على التوبة والاستغفار في كل زمان فإن الغلبة لهم على الشيطان مهما عملوا، ومتى تركوا التوبة والاستغفار تعاظمت ذنوبهم حتى حجبت عنهم كل خير، وفتحت عليهم أبواب كل شر، بل يبلغ شؤم الذنوب حتى الدواب وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة النحل: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [سورة فاطر: ٤٥]، وقد أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن أبي الأحوص قال: «كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وقرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾»[(١)]. وقد سمع أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلاً يقول: «إن الظالم لا يضر إلا نفسه. فقال: بلى والله، حتى الحُبارَى لَتموتُ في وكرها هزالا من ظلم الظالم.»[(٢)] وجاء مثله عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩] قال: «البهائمُ، تلعن عُصاةَ بَني آدم حين أمسك الله عنهم بذنوب بني آدم المطر، فتخرج البهائم فتلعنهم.»[(٣)] وعن عكرمة أنه قال: «يلعنهم كل شيء حتى الخنافس

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٦٠) وشعب الإيمان للبيهقي (٩/ ٥٤٥) وتخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٢٢٦).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٥٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (٣/ ٢٥٥).

والعقاربُ، يقولون: مُنعنا القطرَ بذنوب بني آدم»[1]. وهذا أحد الأقوال في تفسير الآية.

السبب الثاني: الدعاء وتوحيد العبادة لله. فالمتأمل في المواطن التي ذكر الله فيها الدعاء والمطر في سياق واحد يجد أن العلاقة بينهما وطيدة، وقد جاءت على ثلاثة حالات:

الحالة الأولى: أن يقدم ذكر المطر ثم يردف بعده ذكر الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة غافر: ١٣، ١٤].

قال ابن كثير: «وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف ألوانه وطعومه، وروائحه وأشكاله وألوانه ... وقوله: «فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» أي: فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم»[2].

الحالة الثانية: أن يقدم ذكر الدعاء ثم يتبعه بذكر المطر، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٥-٥٨].

قال ابن جرير: «ادعوا أيها الناس ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام «تضرعًا»، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته «وخفية» يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهلِ النفاق والخداع لله ولرسوله»[3].

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٤).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٥).

الحالة الثالثة: أن يبدأ السياق بذكر المطر، ثم يذكر الدعاء، ثم يختم بذكر المطر، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [سورة النمل: ٦٠ - ٦٣] .

السبب الثالث: شكر الله على نعمة المطر، وعدم كفرها. والدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[سورة الواقعة ٨٢]، وقد جاء بيان ذلك مفسراً في صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مطر الناس على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**» قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة ٧٥] حتى بلغ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1]. [سورة الواقعة ٨٢]. وأخرج الطبري بسنده عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: شكركم[2].

السبب الرابع: الاستسقاء. والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة البقرة ٦٠]، قال ابن كثير: «يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى، عليه السلام، حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر»[3].

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٨٤) برقم ٧٣
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٦)
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٨)

السبب الخامس: الاستقامة. والدليل:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [سورة الجن:١٦]، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قال: «قاموا بما أمروا به لأسقيناهم ماءً غدقاً قال: معيناً»[1]. أي يعاينونه بأعينهم لقربه منهم ليس غائراً، أو بمعنى عذباً.

٢ - وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦]، قال ابن كثير: أي: آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل، وصدقت به واتبعته، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات، ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. أي: قطر السماء ونبات الأرض[2].

٣ - وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦٦]، قال ابن عباس وغيره: «يعني القرآن»[3]. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «لأكلوا من فوقهم» يعني: لأرسل السماء عليهم مدراراً، «ومن تحت أرجلهم» يعني: يخرج من الأرض بركاتها. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي»[4].

قال ابن جرير: «وأما معنى قوله: «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» فإنه يعني: لأنزل الله عليهم من السماء قَطْرَها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارَها. وأما قوله: «ومن تحت أرجلهم»، فإنه يعني تعالى ذكره: لأكلوا من برَكة ما تحت أقدامِهم من الأرض، وذلك ما تخرجه الأرض من حَبِّها ونباتها وثمارِها، وسائرِ ما يؤكل مما تخرجه الأرض»[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٧).
(٤) انظر: المصدر السابق (٣/ ١٤٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦٣).

ومما يدخل في الاستقامة مما له أثرٌ مباشرٌ ما يلي:

١ - **إخراج الزكاة الواجبة:** وهو أيضاً مستفادٌ من قاعدة الجزاء من جنس العمل التي قررها القرآن في مواطن كثيرة، ومنع القطر من السماء بسبب منع الزكاة هو مقتضى السنة الربانية، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما أن الناس بخلوا على الفقراء بما أوجبه لهم في أموال الأغنياء، فإن الله يضيق عليهم كما ضيقوا علي عبيده الفقراء. وقد جاء التنصيص على ذلك في السنة المبينة للقرآن كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبل علينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**لم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**».[١] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن جَعْفَر قَالَ: «كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ مَالِكٍ يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، وَكَانَتِ الْغُيومُ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ وَلَا تُمْطِرُ. فَقَالَ مَالِكٌ: تَرَوْنَ وَلَا تُوَافُونَ أَنْتُمْ تَسْتَبْطِئُونَ الْمَطَرَ وَأَنَا أَسْتَبْطِئُ الْحِجَارَةَ.»[٢] وهذا يدل على أن السلف يعتبرون تأخر الغيث عنهم علامةً من علامات سخط الله تعالى عليهم، وهذا المعنى كما تقدم واضح في كتاب الله تعالى، بخلاف ما لو أغدق الله عليهم النعم وهم مقيمون على المعاصي فإن هذا قد يكون استدراجاً من الله لهم، وله أدلة كثيرة من كتاب الله ليس هذا موضع بسطها.

٢ - **عدم إنقاص المكيال والميزان:** قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولم يَنْقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم**».[٣]

٣ - **التوكل على الله:** مع بذل الأسباب الشرعية والمادية، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً**».[٤]

٤ - **الصدقة المستحبة:** كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله

---

(١) الحديث: صحيح. أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** (١٢/ ٤٤٦) وصححه الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم: (١٠٦).
(٢) انظر: **شعب الإيمان** للبيهقي: (٥/ ٢٤).
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) الحديث: صحيح. **أخرجه أحمد في المسند: (١/ ٢٥٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده: (١/ ٢١٢) والترمذي في جامعه: (٤/ ٥٧٤)** وصححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: (٢/ ٩٣٢) وهو في **السلسلة الصحيحة** برقم: (٣١٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما رجل - أي فيمن كان قبلنا - بفلاة من الأرض إذ سمع صوتًا في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، قال: فانقطعت قطعة من السحاب حتى إذا أتت على حَرّة فإذا شَرْجة من تلك الشِّراج فاستوعبت الماء كله، فتتبع الماء فرأى الماء يأتي إلى رجل في حديقته يدير الماء بمسحاته فقال الرجل: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: اسمي فلان. للاسم الذي سمع في السحاب، فقال: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتًا في السحاب يقول: اسق حديقة فلان، فماذا تفعل؟ قال الرجل: أما إذا قلت هذا فإني آخذ ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرجع ثلثًا إلى الأرض**».[1] فهذا الرجل أحسن إلى الناس بالصدقة من ماله الذي فاق نصاب الزكاة الواجب حيث تصدق بثلث ما ينتج من أرضه فكان الجزاء من جنس العمل أن سخر الله له السحاب ليفرغ ماءه في مزرعته فـ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]، والجزاء من جنس العمل والله تعالى يقول: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، والمطر من رحمة الله تبارك وتعالى فنيله يكون بالإحسان إلى خلق الله.

المطلب الثاني: أهمية الأسباب المادية المعينة على حفظ المطر بعد نزوله.

إن الشريعة قد أولت السبب المادي أهمية كبيرة، فلا يتحقق المراد للعبد إلا بالجمع بين السبب المادي والسبب الشرعي؛ فترك الأسباب خلل في العقل، والاعتماد عليها شرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضي التوحيد والعقل والشرع»[2].

فلا يصح في عقل عاقل ولا علم عالم، أن يطلب إنسانٌ الولد دون أن يتزوج معتمداً على دعائه لربه تبارك وتعالى، وكذلك الرزق، فلو جلس إنسان في بيته وسأل الله الرزق لم يرزقه الله تعالى، كما قال النبي

(١) الحديث: **أخرجه مسلم في صحيحه**: باب الصدقة في المساكين (٤/ ٢٢٨٨).

(٢) انظر: **أمراض القلوب وشفاؤها** لابن تيمية ص: ٥٢

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعرابي صاحب الناقة الذي قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»(١) بل إن العجماوات تخرج في طلب الرزق، والبحث عنه بذلاً للسبب المادي، فهذه الطير تخرج من أوكارها ولا تدري أين تتجه، فلا تعود إلا وهي ممتلئة البطون كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً**»(٢).

ومن تأمل في حال الأرزاق التي جعلها الله في الأرض وسخرها لنا يجد أن ما منها شيء إلا وهو بحاجة إلى بذل سبب مادي لنحصل عليه، فالله سبحانه جعل في بطن هذه الأرض من الكنوز العظيمة كالحديد الذي قال فيه: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، فهو لا يستخرج إلا بمشقة وتنقيب ونتق للجبال، وقل مثل ذلك في الذهب والفضة والنحاس والزيوت كالنفط والغاز والماء وسائر المعادن. فلا يقول عاقل بأنه لا يجب علينا البحث والتعب وراء هذه الكنوز المخفية في باطن الأرض، لأن الله لو أراد لنا أن نستفيد منها لجعلها سهلة المنال بين أيدينا؛ وإذا ذَهَبْت إلى البحر فإنك ستجد مثل ذلك، فالله سبحانه وتعالى أخبر أنه يخرج من البحار اللؤلؤ والمرجان، فقال سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٢٢]، وهما من أنفس وأثمن الأعيان، ولا يمكن لطالبهما أن ينالهما بالاصطياد في الشاطئ، إذ لابد من الغوص في أعماق البحار، وللغوص أدواته اللازمة المادية التي لابد من توفرها لمن أراد ذلك.

والسر في كون هذه الأعيان الثمينة بعيدة المنال -والله أعلم- أن الله تعالى جعل لنشأتها أسباباً مادية أخرى تقتضي ضغطاً معيناً وحرارة معينة وخزناً في هذه الظروف لمدة معينة حتى تتكون هذه الكنوز، فسبحان العليم الخبير. ومن رحمته بعبيده سبحانه وتعالى وتسخيره لهم ما في الأرض أن جعل لهم من الرزق العارض القريب المنال ما يكفي حاجتهم الضرورية بشيء قليل من الأسباب المادية التي يستطيعها كل أحد، فجعل قدراً من الماء الكافي للشرب وقوت الحياة الضروري قريباً من سطح الأرض، يبلغه العبد

(١) الحديث: حسن. **أخرجه الترمذي** (٤/ ٢٤٩) وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه. **وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة**: (٧/ ٢١٦) وحسنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير** (١/ ٢٤٢) وفي **مشكاة المصابيح** للتبريزي برقم: (٢٢).
(٢) سبق تخريجه في: (ص: ١٣).

بلا مشقة، ومن أراد التوسع في التحسينيات فلابد له من بذل مزيد من الأسباب المادية، ليبلغ ما يعينه على توسعه، وهذا لا يستطيعه كل أحد؛ فإن من يصطاد على ساحل البحر يجد ما يكفيه لمعيشته الضرورية، أما من أراد المغانم الكبيرة والتجارة والربح فلابد له من الغوص في باطن البحر وهكذا.

إن توسع الناس في هذا الزمن وازدياد طلبهم للمياه أكثر من ذي قبل، يحتم عليهم مواكبة الزيادة في الطلب بزيادة مماثلة في وسائل حصاد الأمطار بالتقنيات المتطورة في تنمية مصادر المياه، فإن المشكلات المركبة لابد لها من حلول مركبة، فالحلول البسيطة لا تؤتي ثماراً كبيرة. إذا عُلم هذا تبين الفرق بين الرزق العام الضروري للحياة، وبين الرزق الذي يراد منه التوسع. وتبين أصل نشوء الخطأ في كلام من يقول: إن المطر الذي ينزله الله من السماء لا يكفي حاجة الناس، فهو لا يكفيهم **لسببين**:

الأول: لأنهم لم يجتهدوا في حصده والمحافظة عليه، كمن وجد قطعة ذهب ثم فرط فيها.

الثاني: أنهم أسرفوا في استعماله، وفي وسعهم توفيره وحسن استغلاله بما يعود عليهم بالنفع، وذلك بحسن الاقتصاد في كل زمان بما يناسبه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث:

الإشارات القرآنية الدالة على أهمية المطر وخزنه واستغلاله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإشارت.

المطلب الثاني: الإشارت الدالة على أهمية المطر.

المطلب الثالث: الإشارات الدالة على خزنه واستغلاله.

المطلب الأول: مفهوم الإشارت

يختلط على بعض الناس التفريق بين التفسير الإشاري الباطني الذي يستعمله أهل الباطن، وبين الفهم الدقيق لمعنىً لا يظهر من لفظ النص صراحة لكنه يدل عليه نصٌ آخر، فيخرج من مجموع النصين ما لا يكون في أحدهما مثلاً، كالذي فهمه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأيده عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]، وهذا النوع من الفهم تكلم عليه أهل العلم وجعلوا له ضوابط تحده لئلا يختلط به ما ليس منه.

قال شيخ الإسلام: «فإن المعاني تنقسم إلى حق وباطل؛ فالباطل لا يجوز أن يفسر به كلام الله؛ والحق إن كان هو الذي دل عليه القرآن فُسِّرَ به، وإلا فليس كل معنى صحيح يفسر به اللفظ لمجرد مناسبة»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: **تفسير على اللفظ**: وهو الذي ينحو إليه المتأخرون. **وتفسير على المعنى**: وهو الذي يذكره السلف. **وتفسير على الإشارة والقياس**: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

١ - ألا يناقض معنى الآية.

٢ - وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.

٣ - وأن يكون في اللفظ إشعار به.

٤ - وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا»[3].

ومن الشروط ما ذكره أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر

(١) انظر القصة في تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٨)
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧)
(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: ٧٩)

في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية، وهذا ظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا؛ فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا بإطلاق؛ ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلا إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما فإثبات أحدهما تحَكُّم وتَقَوُّل على القرآن ظاهر، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم»[١].

وقال أيضاً: «أن يكون له شاهدٌ نصاً أو ظاهراً في محلٍ آخر يشهد لصحته من غير معارض؛ لأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تُدَّعى على القرآن والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء»[٢].

ومن الشروط ما ذكره الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناهل العرفان حيث قال: «ألا يكون تأويلاً سخيفاً بعيداً عن معنى الآية، كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩]، حيث فسر (لمع) على أنها فعلاً ماضياً بمعنى أضاء، وكلمة (المحسنين) مفعولاً له»[٣]. وقال أيضاً: «ألا يُدعى أنه المراد وحده دون الظاهر؛ لكي يتميز عن التفسير الباطني الملحد الذي يمنع إرادة المعنى الظاهر، ويتمسك بالمعنى الباطن وحده»[٤].

والقرآن فيه إشارات تتعلق بعلوم شتى قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علاقة العلوم بالقرآن على **أربع مراتب**:

الأولى: علوم تضمنها القرآن، كأخبار الأنبياء، والأمم، وتهذيب الأخلاق، والفقه، والتشريع، والاعتقاد، والأصول، والعربية، والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسر علماً، كالحكمة والهيئة، وخواص المخلوقات.

---

(١) انظر: **الموافقات** للشاطبي (٤/ ٢٣٢)
(٢) انظر: المصدر السابق (٤/ ٢٣٢)
(٣) انظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن** للزرقاني (٢/ ٨١)
(٤) انظر: نفس المصدر السابق (٢/ ٨١)

الثالثة: علوم أشار إليها، أو جاءت مؤيدة له، كعلم طبقات الأرض والطب، والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به، إما لبطلانها، كالزجر، والعيافة، والميثولوجيا[(١)]؛ وإما لأنها لا تعين على خدمته، كعلم العروض، والقوافي[(٢)].

المطلب الثاني: الإشارات الدالة على أهمية المطر.

الإشارة الأولى: أن أصل الماء الذي في جوف الأرض من المطر.

لقد أشار القرآن إلى أن الماء الذي في باطن الأرض أصله من المطر، وهذا ما أثبته العلم الحديث فيما يتعلق بالتكوينات المائية في المملكة العربية السعودية وأنها نتجت عن عصور مطيرة في حقبة من الحقب، ترسبت فيها مياه الأمطار في باطن الأرض.[(٣)] ونحن أخبرنا العليم الخبير، الذي خلق الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها أخبرنا بقوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨] قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها». ثم ساق بسنده إلى ابن جريج قال:« ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ماء هو من السماء.»[(٤)] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، فالماء الذي في الأرض من المطر؛ فالمطر هو أصل الماء النافع، وأما ماء البحار لا يمكن أن تقوم عليه زراعة، أو حياة بشر وأنعام من دون كلفة ومشقة مضنيةٍ، لأنه ملحُ أجاج، ولذا فقد قدر الله تعالى بحكمته تبخر مياه البحار من تأثير حرارة الشمس، فتحمل الرياح هذه الرطوبة إلى حيث تلتقي مع تيار بارد فتتكثف بقدرة الله تعالى في

(١) **الميثولوجيا:** وهو مصطلح يوناني قديم يطلق على علم الأساطير المقدسة المتعلقة بالآلهة ونحو ذلك عند شعب من الشعوب.

(٢) انظر: **التحرير والتنوير** لابن عاشور (١/ ٤٥)

(٣) انظر: **أطلس المياه**، وزارة الزراعة والمياه: ص: (٤٨-٦١).

(٤) انظر: **جامع البيان للطبري**: (١٩/ ٢٠).

ظروف دقيقة يغيرها الله بحكمته متى شاء، وتتهيأ أينما شاء، لينزل المطر على من شاء، فسبحانه وبحمده. فينزل المطر من السماء إلى الأرض فيسكن فيها لينتفع به الناس وتقوم به معايشهم.

يقول الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الخالق سبحانه جعل رقعة الماء على الأرض أكبر من رقعة اليابسة حتى تتسع رقعة البَخْر، ويتكون المطر الذي يكفي حاجة أهل الأرض»(١). وقال ابن عاشور: «واعلم أن كون الماء نازلا من السماء هو أن تكونه يكون في طبقات الجو من آثار البخار الذي في الجو، فإن الجو ممتلئ دائما بالأبخرة الصاعدة إليه بواسطة حرارة الشمس من مياه البحار والأنهار ومن نداوة الأرض ومن النبات؛ ولهذا نجد الإناء المملوء ماء فارغا بعد أيام إذا ترك مكشوفا للهواء، فإذا بلغ البخار أقطار الجو العالية، برد ببرودتها وخاصة في فصل الشتاء، فإذا برد مال إلى التميع، فيصير سحابا ثم يمكث قليلا أو كثيرا بحسب التناسب بين برودة الطبقات الجوية والحرارة البخارية، فإذا زادت البرودة عليه انقبض السحاب وثقل وتميع فتجتمع فيه الفقاقيع المائية، وتثقل عليه فتنزل مطرا، وهو ما أشار له قوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [سورة الرعد: ١٢]، وكذلك إذا تعرض السحاب للريح الآتية من جهة البحر وهي ريح ندية، ارتفع الهواء إلى أعلى الجو فبرد فصار مائعا، وربما كان السحاب قليلا فساقت إليه الريح سحابا آخر فانضم أحدهما للآخر ونزلا مطراً، ولهذا غلب المطر بعد هبوب الريح البحرية؛ وفي الحديث: «**إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة**»(٢)»(٣).

والمقصود بالبحرية في الحديث أي السحابة فإذا جاءت من جهة البحر فهي محملة بالرطوبة، ثم إذا اتجهت جهة الشمال اصطدمت بالتيارات الجافة الباردة القادمة من جهة الشمال؛ والرياح الشمالية في الجزيرة معروفة ببرودتها، لأنها تكون قادمة من جهة الديار الباردة من جهة القطب الشمالي، فينزل المطر بغزارة نتيجة التصادم مع قوة التبريد ووفرة الرطوبة. وفائدة هذه الإشارة أن المطر هو أساس كل ماء في

---

(١) انظر: **تفسير الشعراوي**: (١٦/ ٩٩٨٩).

(٢) الحديث: **أخرجه مالك في الموطأ** وهو من بلاغاته: (١/ ٢٤١) **وأبو الشيخ في العظمة** (٤/ ١٢٤٨) **والطبراني في الأوسط** (٧/ ٣٧١، رقم ٧٧٥٧) والهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (٢/ ٢١٧) وقال بعد أن ذكر أن الواقدي قد تفرد به: وفي الواقدي كلام وثقه غير واحد، وبقية رجاله لا بأس بهم وقد وثقوا. والله أعلم.

(٣) انظر: **التحرير والتنوير** لابن عاشور: (١/ ٣٣٣).

بطن الأرض، فالمطر أساس الحياة فلا تقوم حياة بغير المطر، وهذا أمرٌ في غاية الوضوح ولله الحمد.

الإشارة الثانية: أن أصل الرزق يعود إلى المطر.

فما يخرج من الأرض سببه في الجملة ما ينزل من السماء. قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢]، قال ابن كثير: «يعني: المطر، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: الجنة. قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد»(١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [سورة غافر: ١٣]، والسماء هنا بمعنى السحاب، والرزق: المطر. فسمى الله المطر رزقاً، وأن هذا الرزق نازل من السماء. قال ابن كثير: «وأنزل لهم من السماء ماء-والمراد به السحاب هاهنا-في وقته عند احتياجهم إليه»(٢). وقال ابن عطية: «وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، يريد السحاب، سمي بذلك تجوزا لَمَّا كان يلي السماء ويقاربها وقد سموا المطر سماء للمجاورة، ومنه قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا (٣).

فإذا نزل رزق السماء خرج رزق الأرض، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة فاطر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ [سورة ق: ٩-١١]، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٧/ ٤١٩).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (١/ ١٩٤).
(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (١/ ١٠٥).

دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [سورة لقمان: ١٠-١١] ومهما كان في الأرض من معادن نفيسة وهي من جنس الرزق العام، لا تغني عن الناس شيئاً إن لم يكن عندهم ماء وغذاء، فماذا يصنعون بالذهب والفضة والحديد والنحاس إن كانوا لا يجدون ما يشربون، ولا ما به يزرعون، فسبحان الخالق العظيم وبحمده. فإذا ثبت أن المطر النازل من السماء رزقٌ، وأنه أصل الأرزاق، وجبت العناية به، وبذل الأسباب المادية والشرعية لتحصيله كرزق الأرض، إذ لا فرق بين الرزقين. ومن هنا فإنه يجب على المسلمين العناية بالأسباب الشرعية الجالبة للمطر والاهتمام بها غاية الاهتمام، خاصة صلاة الاستسقاء التي تهاون الناس فيها في الزمن الحاضر تهاوناً واضحاً، لعدم إدراكهم لأهمية الماء النازل من السماء، وأثره عليهم وعلى مخزون مياه الأرض الجوفية، التي تقوم عليها الزراعة، مما يحقق أمناً غذائياً مستداماً بإذن الله تعالى دون الاعتماد على الموارد الخارجية، التي تكتنفها الأخطار التي لا تخفى على أحد. فلابد من بذل السبب المادي وعدم الاستهانة بحصد هذا الرزق بكافة الأدوات الحديثة الممكنة.

الإشارة الثالثة: أن الله تعالى تكفل برزق كل الدواب بإنزال المطر.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[سورة هود: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٠]، فدلت الآيات على أن الله خلق الخلق ولم يضيعهم؛ وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن ما ينزله الله تعالى لهم من السماء كاف لمعايشهم الضرورية إن هم أحسنوا التعامل معه وفق سنن الله الكونية والشرعية، فإن فرطوا فإن جنايتهم على أنفسهم؛ فالله سبحانه بين للعباد الأسباب الشرعية لحصول المطر والرزق، وطلب منهم الإتيان بها، ونبههم إلى الأسباب المادية ليأخذوا بها فلا يهملوها، كما سيأتي في بيان رؤيا الملك وتعبير يوسف عليه السلام، التي قصها الله تعالى في سورة يوسف لنأخذ منها العبرة.

وبيان ذلك: أن الله رتب على نزول المطر خروج الجنات والحدائق ذات البهجة والنخيل والأعناب والفواكه والحبوب والزيتون ودهن الزيتون المبارك والأعلاف التي تتغذى عليها الأنعام، وما ينتج عنها من لحوم وزبد ولبن وسمن عسل وما فيها من منافع كالركوب والحرث، والانتفاع بالجلود والأصواف والأوبار ونحو ذلك. وهذه كلها لا تتحقق إلا بالماء، والماء من السماء، وما في السماء لا يستنزل إلا بطاعة رب السماء، فما أعظم حكمة الله وتدبيره؛ حيث جعل كل المنافع قائمة على هذا المطر الذي تسميه العرب الحيا[1] فبه يحيا كل شيء، وقبل ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٨-٢٢].

ولما كان الأمر كذلك فإن المطر إذا تأخر نزوله ولحق الدواب الهلاك لعنت عصاة بني آدم، كما مر معنا سابقاً، وقد ذكرنا كلام المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩]، وذلك لأن بني آدم هم المكلفون، وبمعاصيهم تأخر رزق هذه الدواب، فاستحقوا دعاء العجماوات عليهم، فكانوا بمنزلة من اعتدى على النفس التي حرم الله فأزهقها، فاستحق العقوبة، أو من اعتدى على مال غيره فسرقه أو غصبه فاستحق الدعاء عليه بظلمه؛ وعدم استشعار الناس لهذا الأمر لأنهم إنما يعظمون الجنايات الحسية دون المعنوية، إذ لا يقيمون لها وزنا، ورب جناية غير منظورةٍ أنكى من بعض الجنايات الحسية التي ربما تبرأ جراحها مع الزمن، فمعاصي بني آدم جناية على أنفسهم قبل أن تكون جناية على العجماوات،

(١) الحَيَا، مَقْصُورٌ: المطَر، لإِحْيائه الأَرضَ، وَقِيلَ: الخِصْبُ وَمَا تَحيا بِهِ الأَرْضُ وَالنَّاسُ. انظر: **لسان العرب** لابن منظور (١٤/ ٢١٥).

ولكنهم لا ينتبهون إليها، واعتبر بقول الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس: ٩-١٠]، فذكر التطهير والتنجيس المعنويين، فالأول طهرها بالطاعات، والثاني نجسها بالمعاصي؛ وعامة الناس لا يبالون باقتراف المعاصي لأنها نجاسة معنوية، لكنك لا تجد أحداً منهم يتعمد تلطيخ ثوبه بالنجاسات الحسية، أو يلطخه غيره بها، ولو فعل به أحدٌ ذلك لأقام الدنيا وما أقعدها، لأنها نجاسة حسية، أما نجاسة القلب المعنوية فلا يعيرها بالاً كثيرٌ من الناس.

الإشارة الرابعة: أن الله أنزل من المطر بقدر حاجة الناس.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨]
وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١١]
وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢١ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢﴾ [سورة الحجر: ٢١، ٢٢]، فقوله سبحانه وتعالى «بقدر» أي: بحساب. قال مقاتل: «بقدر ما يكفيهم للمعيشة من الزرع والغرس والشرب، ويَسْلَمُون معه من المضرة»[١].

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ أي: «بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلاً لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثاً حَياً، للأرض الميتة محيياً»[٢].

وقال ابن كثير: «أي: بحسب الحاجة، لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماءً كثيراً لزرعها ولا تحتمل دمنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلادٍ أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: الأرض الجرز، يسوق الله إليها ماء النيل معه طينٌ أحمرُ يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طيناً أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب

(١) انظر: **اللباب في علوم الكتاب** لابن عادل الحنبلي: (١٤/ ١٨٧).
(٢) انظر: **جامع البيان** لابن جرير الطبري: (٢١/ ٥٧٢).

عليها الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور»[1]. وقال أيضاً: «أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم، لأنفسكم ولأنعامكم»[2].

قلت: وهذا مؤكد لما سبق أن الله تعالى مدبرٌ لأرزاق الخلق ومتكفل بها، وأن هذا الرزق كافٍ لهم للبقاء، أما إذا أرادوا التوسع في معايشهم فعليهم أن يتوسعوا في طرق حفظ الرزق النازل من السماء بما يتناسب مع توسع حاجاتهم. **ويحتمل أن يكون التقدير في الآية عاماً يشمل ثلاثة أنواع من التقدير:**

الأول: تقدير حاجة الناس. وهو ظاهر كلام المفسرين كما سبق.

والثاني: تقدير سعة الأودية لتتحمل السيلان السطحي. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[سورة الرعد: ١٧] وسيأتي بيانه إن شاء الله.

والثالث: تقدير خزانات الأرض الباطنية الحاملة للماء. وهذا له ما يسنده من العقل والنقل، فأما العقل فلكونه لازم التقدير الأول، فكيف يقدر حاجتهم ثم لا يقدر مخازن الماء الذي يكفي حاجتهم؟ وأما النقل فيدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إذ لابد في السكن أن يتسع للساكن. والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الإشارة الخامسة: أن المطر النازل في كل عام واحد ولكن الله يصرفه بين الأمكنة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [سورة الفرقان: ٥٠]، والتصريف يدل على أن المطر واحدٌ في كل عام من حيث الكمية المتساقطة، غير أن الله يقسم نزوله بين عباده، ليحصل لهم من التذكر والإنابة والرجوع إلى الله عند حاجتهم مالا يحصل حال نزوله عليهم متتابعاً، وهذا من تربية الله لعباده المؤمنين وبلائه لهم ليصلح لهم دنياهم وأخراهم، فكم من بلاء جلب خيراً عاجلاً أو آجلاً، فالله سبحانه قد يبتلي العبد بالمرض ليرده إليه في الدنيا أو ليعلي مكانته في الآخرة، فمن تذكر الله وقت انصراف المطر ورجع إليه أفلح وأنجح، ومن جمع بين الحاجة والاستكبار فهذا الخاسر والعياذ بالله تعالى.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٥/ ٤٧٠). وسيأتي الكلام على آية السجدة في الإشارة السادسة.
(٢) انظر: المصدر السابق: (٧/ ٢٢٠).

وقد روى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال: «ما عامٌ بأكثر مطراً من عام، ولكنّ الله يصرّفه بين خلقه، قال: ثم قرأ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ وفي رواية أخرى عنه قال: ما عام بأكثر مطراً من عام، ولكنه يصرفه في الأرضين، ثم تلا: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ »[١]. وروى بسنده عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ قال: «المطر ينزله في الأرض، ولا ينزله في الأرض الأخرى، قال: فقال عكرِمة: صرفناه بينهم ليذّكروا»[٢]. وعن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قال: «المطر مرّة هاهنا، ومرّة هاهنا»[٣]. وعن أبي جحيفة قال: «سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ليس عامٌ بأمطر من عام، ولكنه يصرفه، ثم قال عبد الله: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ »[٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى، فأمطرتها وكفتها فجعلتها غدقاً، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة... ليذكر من مُنِع القطر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه، فيقلع عما هو فيه»[٥].

قلت: ولعل تفسير ذلك أن ما يتبخر من البحار نتيجة الاحترار ويصعد إلى السماء كميته واحدةٌ كل عام تبعاً للحرارة الساقطة من الشمس على مسطحات الماء في كل موسمٍ بحسبه، وفق منازل الشمس طيلة العام، فإذا صعد البخار إلى طبقات الجو العليا الباردة تكثف، وفق الظروف التي قدرها الله لتكثف البخار، في المكان الذي يقدره الله، ولكن أين تتوفر هذه الظروف؟ هذا ما يغيره الله بقدرته كيفما شاء وليس للبشر عليه من سبيل، وهو محل علم الله وتقديره. وما تقوم وسائل الرصد الحديثة من أقمار اصطناعية

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٩/ ٢٨٠) بسند صحيح، والحاكم في المستدرك وصححه و وافقه الذهبي: (٢/ ٤٠٣).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري: (١٩/ ٢٨٠).
(٣) انظر: جامع البيان للطبري: (١٩/ ٢٨٠).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره:(١٩/ ٢٨٠) والبيهقي في الكبرى:(٣/ ٣٦٣) وقال: روي مرفوعا بهذا الإسناد، والصحيح موقوف. ورواه المخَلِّص في المخلصيات (١/ ٣٤٤) مرفوعاً بلفظ:(ما مِن عامٍ بأَمطرَ مِن عام، ولا هبَّتْ جَنوبٌ إلا سالَ مِنها وادٍ). وبنحوه عند أبي الشيخ في العظمة:(٤/ ١٢٧٤) والعقيلي في الضعفاء موقوفا بنحوه (٣/ ٢٢٨) وقال وهو أولى. وضعف الألباني المرفوع كما في ضعيف الجامع حديث رقم: (٥١٠٢).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: (٦/ ١١٥-١١٦).

ومراصد جوية به هو تتبع لهذه العوامل فيخطئون أحياناً ويصيبون أحياناً وقد يكون الخطأ والصواب كلياً أو جزئياً. والواجب على العباد هو التعلق بالله والتوكل عليه والتوبة إليه ليرزقهم المطر لأن الله قد ربط التصريف بحصول الذكرى فهي سبب نزول المطر وهذا هو السبب الشرعي. والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الإشارة السادسة: أن الله ينزل على كل أرض من المطر ما يناسبها ويصلحها به:

وهذا ما أشار إليه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٧]، ومعنى «الجرز» أي: الأرض اليابسة المغبرة السبخة الغليظة التي لا نبات فيها.[١] وثمة معنىً آخر قد نقله ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو أن معنى «الجرز»: التي لا تُمْطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً، إلا ما يأتيها من السيول.[٢] وهذا كأرض مصر التي يسوق الله لها أمطار الحبشة وطينتها.

قال ابن كثير: «يبين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء، أو من السيح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أَرْض مِصْر فَقَطْ، بَلْ هِيَ بَعْض الْمَقْصُودِ،... وَلَكِنَّهَا مُرَادَةٌ قَطْعًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهَا فِي نَفْسِهَا أَرْضٌ رَخْوَةٌ غَلِيظَةٌ تَحْتَاجُ مِنَ الْمَاءِ مَا لَوْ نَزَّلَ عَلَيْهَا مَطَرًا لَتَهَدَّمَتْ أَبْنِيَتُهَا، فَيَسُوقُ اللهُ إِلَيْهَا النِّيلَ بِمَا يَتَحَمَّلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ أَمْطَارِ بِلَادِ الْحَبَشَةِ، وَفِيهِ طِينٌ أَحْمَرُ، فَيَغْشَى أَرْضَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ سَبَخَةٌ مُرْمِلَةٌ مُحْتَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَذَلِكَ الطِّينِ أَيْضًا لِينْبُتَ الزَّرْعُ فِيهِ، فَيَسْتَغِلُونَ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى مَاءٍ جَدِيدٍ مَمْطُورٍ فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ، وَطِينٍ جَدِيدٍ مِنْ غَيْرِ أَرْضِهِمْ، فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ الْمَحْمُودِ ابْتِدَاءً»[٣].

(١) انظر: جامع البيان للطبري: (٢٠/ ١٩٦).
(٢) انظر: المصدر السابق: (٢٠/ ١٩٧).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٦/ ٣٧٢).

قلت: وهذا الذي ذكره الحافظ ابن كثيرٍ عليه رحمة الله محمول على الأرض المجاورة لنهر النيل، والتي هي محل سكن الناس، وهي التي كانت تسمى بمصر وليست الحدود الجغرافية السياسية المعاصرة، لأنها دخلت فيها مناطق لا يصدق عليها هذا الوصف الذي ذكره؛ ويحمل كلامه أيضاً على أبنيتهم القديمة التي لا تتحمل أساساتها كثرة الماء، أما في العصر الحاضر فالواقع بخلاف ذلك، فإن الناس أصبحوا يبنون حتى في داخل البحار بالخرسانات المسلحة ما تجاوزوا به ضعف أرضهم.

وكما أن معنى الآية ليس مقتصراً على أرض مصر التي أجرى الله لها ماء المطر النازل في غيرها، فإنه يحتمل أن يكون مثله ما يجريه الله تحت الأرض من بلاد إلى بلاد، فإن تحت الأرض من مجاري المياه والتكوينات الحاملة للماء المشتركة بين كثير من البلدان، والتي تتغذى من مياه الأمطار والسيول في ديارٍ بعيدة، فيسوقه الله من تحت الأرض لديارٍ لا ينزل عليها مطرٌ أو مطرها قليل، وفي المملكة العربية السعودية من التكوينات المتداخلة مع دول الشام والعراق ما يمكن أن يكون مثالاً لذلك، ولعل الله يقيض من أهل الاختصاص من يبحث هذا ويخرج بعض أسراره.

ولما وقفت على كلام الحافظ ابن كثير هذا حملني كلامه على التأمل في غير مصر فرأيت مثله في دجلة والفرات فإنهما يجريان من المناطق المطيرة في شمال تركيا حتى يصبان في جنوب العراق في الخليج العربي فنهر النيل يسقي من الجنوب إلى الشمال ونهر الفرات ودجلة يسقيان من الشمال إلى الجنوب فسبحان المدبر. وقد قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [سورة النمل:٦١] «أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض، سير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه»[١].

(١) انظر: المصدر السابق (٦/ ٢٠٣).

المطلب الثالث: الإشارات الدالة على خزن الماء واستغلاله.

الإشارة الأولى: أن الأرزاق لها صمامان يمنعانها من الزوال:

عدم الإسراف والتبذير.

حسن التصريف والتدبير.

فأما الأول: وهو عدم الإسراف التبذير: فقد قال الله تعالى ناهياً عباده عنه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٦-٢٧] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤١-١٤٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ٣١-٣٣]، فنهى الله تعالى عن الإسراف والتبذير واتباع خطوات الشيطان والْفَوَاحِش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ والشرك والقول عَلَى اللَّهِ بغير علم.

وإذا تأملت فإنك تجد أن الله ذكر هذه المحرمات في سياق ذكره للنعم ونهيه عن الإسراف والتبذير فيها واستخدامها في غير طاعة الله، أو الاستعانة بها على معصية الله، وهذه إشارة إلى أن الإسراف يضاد هذه النعم، وهو السبب الشرعي.

ومما يشهد لهذا المعنى ما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين في تفسير التبذير، فقد أخرج ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود وابن عباس أن معنى التبذير هو: «إنفاق المال في غير حقه». وفي رواية عن ابن عباس قال: «لا تنفق في الباطل، فإن المبذّر: هو المسرف في غير حقّ». وقال مجاهد: «لو أنفق إنسان ماله كله في الحقّ ما كان تبذيرا، ولو أنفق مدّا في باطل كان تبذيرا». وعن قتادة قال: «التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحقّ وفي الفساد». وقال ابن زيد: «لا تعطِ في معاصي الله». وقال أيضاً: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ [سورة الإسراء: ٢٦-٢٧]: «إن المنفقين في معاصي الله»[1].

قال ابن جرير: «وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياءُ الشياطين، وكذلك تقول العرب لكلّ ملازمٍ سنةَ قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذّرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصُونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خوّلهموها عزّ وجل سنته من ترك الشكر عليها، وتلقّيها بالكُفران»[2].

وأما الثاني: وهو حسن التصريف والتدبير: فقد قص علينا القرآن قصة رؤيا ملك مصر وتعبير يوسف عليه السلام لها، وإدارته لبيت المال وفق هذا المنهج، بحسن إدارة المخزون وقت الخصب، استعداداً لزمن الجدب وقلة الموارد، وهذه هي الطريقة المثلى في التعامل مع النعم وعدم الاغترار بكثرتها في زمن ما، وقد جاء في الحديث: «**ما عال من اقتصد**»[3]. قال المناوي: «أي: ما افتقر من أنفق قصدًا، ولم يتجاوز إلى الإسراف، والمعنى إذا لم يبذر بالصرف في معصية الله ولم يقتر فيضيق على عياله ويمنع حقا وجب عليه

(١) انظر: جميع ما سبق في **جامع البيان للطبري**: (١٧/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) الحديث: ضعيف. أخرجه أحمد في مسنده: (٤/ ١٩٨) والطبراني في **المعجم الأوسط**: (٥/ ٢٠٦) **والمعجم الكبير**: (١٠/ ١٠٨) **والشهاب القضاعي في مسنده**: (٢/ ٥) **والبيهقي في شعب الإيمان**: (٨/ ٥٠٥) **وابن أبي شيبة في مصنفه**: (٥/ ٣٣١) **وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** وأثرها السيئ في الأمة: (٩/ ٤٤٨).

شحاً وقنوطاً من خلف الله الذي كفاه المؤمن»[1].

ولما كان قصص القرآن للعبرة لا لمجرد التأريخ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ [سورة يوسف: ١١١]، وجب علينا أخذ العبرة من إشارة القرآن لهذا التصرف الحكيم، فدورات الجدب والخصب تأخذ مجراها بحسب سنن الله الكونية والشرعية، فمن تعامل معها وفق سننه الشرعية والكونية بقي في مأمن من أخطارها وكوارثها، ومن فرط وقت الرخاء ندم وقت الشدة، وفي قصة رؤيا الملك وتعبير يوسف عليه السلام من العبر والحكم شيئاً كثيراً.

قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣﴾ [سورة يوسف: ٤٣]، ثم قال سبحانه عن تعبير يوسف عليه السلام:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ٤٩﴾ [سورة يوسف: ٤٧-٤٩]، فأشار تعبير يوسف إلى أن الرؤيا منبهة لهم بحلول سبع سنين ذات خصب ورخاء، وسوف يعقبها سبع سنين عجاف وقحط، تأكل ما زرعوه في سني الخصب، لعدم نزول المطر، لأنهم يأكلون حصاد كل عامٍ بعامه؛ ولا سبيل لهم لمجاوزة خطر القحط والجدب إلا بحسن التدبير، فجمع لهم بين تفسير الرؤيا وعلاج الخطر، وتضمَّن هذا العلاجُ الجدَّ والاجتهاد في الزراعة والغرس كما هي عادتهم سابقاً، واستغلالاً لنزول المطر المتتابع.

قال ابن كثير: «يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات... ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ، أي: مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلاً

(١) انظر: فيض القدير (٥/ ٤٥٤).

قليلاً لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين المُحل التي تعقب هذه السبع متواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان؛ لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات. وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء؛ ولهذا قال: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾»[١].

فكان رأي يوسف عليه السلام غايةً في الحكمة التي تدفع قدر الله بقدر الله تعالى، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما أراد القدوم إلى الشام مع أبي عبيدة -والحديث أخرجه البخاري عن عبد الله بن عباس-: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ[٢] لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه.[٣] قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عُدوتان،[٤] إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبدالرحمن بن

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٢)

(٢) سَرْغ: قال القسطلاني: بفتح السين المهملة وسكون الراء بعدها غين معجمة، قرية بوادي تبوك، قريبة من الشام يجوز فيها الصرف وعدمه. وقيل: هي مدينة افتتحها أبو عبيدة، وهي واليرموك والجابية متصلات، وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. انظر: **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (٨/ ٣٨٤) وانظر: **معجم البلدان لياقوت الحموي**: (٣/ ٢١١).

(٣) قال النووي أي: مسافر راكب على ظهر الراحلة راجع إلى وطني فأصبحوا عليه وتأهبوا له. انظر: **شرح مسلم** (١٤/ ٢١٠).

(٤) قال النووي: أما العُدْوة فبضم العين وكسرها وهي جانب الوادي والجَدْبة بفتح الجيم وإسكان الدال المهملة وهي ضد الخصيبة. انظر **شرح مسلم**: (١٤/ ٢١٠).

عوف- وكان متغيبا في بعض حاجته- فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف»[1].

فإن قدر الله الكوني يدفع بقدر الله الممكن شرعاً وكوناً، ولا يستسلم العبد له بحجة أن الله قدَّره، بل لابد من دفعه بما قدَّر الله له من الضِّد المانع لحصوله، أو الدافع لضرره بعد نزوله، فالله تعالى خلق الأمراض وقدرها، وجعل لها من الأدوية النافعة التي تدفعها أو تقلل من ضررها وأمر بذلك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تداووا عباد الله فإن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء إلا الهرم)**.[2] وكذلك الأمطار والسيول هي من أقدار الله، فإنْ سكن الناس قريباً من مجاريها ولم يعدوا لها الإعدادات اللازمة حصل لهم منها ضررٌ كثير، وإن قاموا بما يجب اندفع ما فيها من الضرر وحصل ما فيها من النفع بإذن الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الأمور المقدورة بالاتفاق إذا كان فيها فسادٌ يحسُن ردُّها وإزالتها بعد وقوعها، كالمرض ونحوه، فإنه من فعل الله بالاتفاق مراد لله، ومع هذا يحسن من الإنسان أن يمنع وجوده بالاحتماء واجتناب أسبابه، ويحسن منه السعي في إزالته بعد حصوله، وفي هذا إزالة مراد الله. وإن قيل: إن قطع السارق يمنع مراد الله، كان شرب الدواء لزوال المرض مانعا لمراد الله؛ وكذلك دفع السيل الآتي من صبب، والنار التي تريد أن تحرق الدور، وإقامة الجدار الذي يريد أن ينقض، كما أقام الخضر ذلك الجدار. وكذلك إزالة الجوع الحاصل بالأكل، وإزالة البرد الحاصل بالاستدفاء، وإزالة الحر بالظل.

وقد قيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها، وَرُقَى نَسْترقي بها، وتُقَاةً نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله**».[3] فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه يرد قدر الله بقدر الله إما دفعاً**

(١) الحديث: متفق عليه. **أخرجه البخاري في صحيحه**، باب ما يذكر في الطاعون: (٧/ ١٣٠ ورقم: ٥٧٢٩)، **وأخرجه مسلم في صحيحه**: (٤/ ١٧٤٠) باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم: (٢٢١٩).

(٢) الحديث: صحيح. **أخرجه أحمد في المسند** (٣٠/ ٣٩٨) **والحميدي في مسنده** (٢/ ٧٣) **وابن ماجه في سننه**: (٢/ ١١٣٧) وصححه الألباني كما في **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (١/ ٥٦٥).

(٣) الحديث: حسن لغيره. **أخرجه أحمد في مسنده**: (٢٤/ ٢١٧) **والحاكم في المستدرك على الصحيحين** (٤/ ٢٢١) وقال صحيح ولم يخرجاه

وإما رفعاً؛ إما دفعاً لِمَا انعقد سببٌ لوجوده، وإما رفعاً لِمَا وُجِد، كرفع المرض ودفعه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١]، قيل: معقبات من أمر الله يحفظونه وقيل: يحفظونه من أمر الله الذي ورد ولم يحصل يحفظونه أن يصل إليه، وحفظهم بأمر الله».[١]

ومن الإشارات التي أشار إليها تعبير يوسف عليه السلام: أن دورات الخصب والجدب التي يقدرها الله تعالى بقدره الكوني لا ضرر منها، متى ما سلك الناس هذه الطريقة، وذلك بالجد والاجتهاد في الزرع والغرس وقت الخصب وحسن الاقتصاد في الاستهلاك وعدم الإسراف، استعداداً لفترة الجدب، حتى تعود الدورة مرة أخرى، وهكذا ينبغي التعامل مع مياه الأمطار والسيول وكل مقدرات الحياة.

ولو قال قائلٌ فمتى نترك الاقتصاد وحسن التدبير وعدم التبذير؟ فإن الجواب: لا تتركه أبداً هذا حال أهل الإيمان ومن كانت هذه سبيله فلن تضره بإذن الله تعالى طوارئ الزمان. والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

الإشارة الثانية: أن الله قدر أحجام الأودية بقدر المطر النازل عليها:

قال سبحانه: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [سورة الرعد: ١٧]، قال ابن عباس وقتادة: «الصغير بصغره، والكبير بكبره»[٢]. قال الحافظ ابن كثير: «﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: مطراً، ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيراً من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها»[٣].

وافقه الذهبي. والبيهقي في **السنن الكبرى** (٩/ ٥٨٧). وحكم عليه الألباني بأنه حسن لغيره في أحاديث مشكلة الفقر، نقلاً عن التعليقات الحسان على **صحيح ابن حبان** (٨/ ٤٥٦).

(١) انظر: **منهاج السنة النبوية** لابن تيمية: (٣/ ٢٣٠-٢٣١)

(٢) انظر: **جامع البيان للطبري**: (١٦/ ٤١٤) **والروايات التفسيرية في فتح الباري** (٢/ ٦٠٤).

(٣) انظر: **تفسير ابن كثير**: (٤/ ٤٤٧).

قلت: فشبه الله المعنى المعقول في اختلاف اتساع القلوب في تلقفها لعلوم الوحي النازل من السماء بالمعنى المحسوس في اختلاف اتساع الأودية في تلقف الغيث النازل من السماء. فهذا واد كبير يجمع ماءً كثيراً وذاك صغيرٌ لا يجمع إلا القليل من الماء، وكذلك قلوب الناس في تلقي الوحي، فهذا المثل في غاية المطابقة والتشبيه فسبحان العليم الحكيم. ولما كان اختلاف الأودية مستقراً في الأذهان بغير شك لأنه من جملة المحسوسات المشاهدة التي لا تفتقر إلى دليل، فإن من تأمل فيها استنبط حكمة الله في خلقها بهذه الطريقة التي هي عليها، حيث تبدأ شعاباً صغيرة ثم تزداد في حجمها شيئاً فشيئاً حتى تتكون الأودية الفحول، التي تقطع مياهها المسافات البعيدة لتبلغ مستقرها الذي قدره الله لها.

وهذا الصنع دالٌ على تسخير الله الأرض وما فيها للناس، وليسهل عليهم التعامل مع هذه الأودية- إن أرادوا- فلا تجد وادياً فحلاً إلا وقبله من الشعاب الرافدة له ما يمكن للإنسان أن يتعامل مع مياهها بسهولة، فإنَّ حَجْز الماء في الشعاب الصغيرة بالسدود الحجرية أمرٌ مقدورٌ عليه، قبل أن يجتمع الماء فيكون طوفاناً، وبهذا تتغذى التجويفات الباطنية في الأرض، فإن فرطنا في ذلك فسوف تكون الأودية الكبيرة مهلكة للحرث والزرع والمساكن والناس، فما أعظم حكمة الله تعالى لمن تدبرها وتأملها.

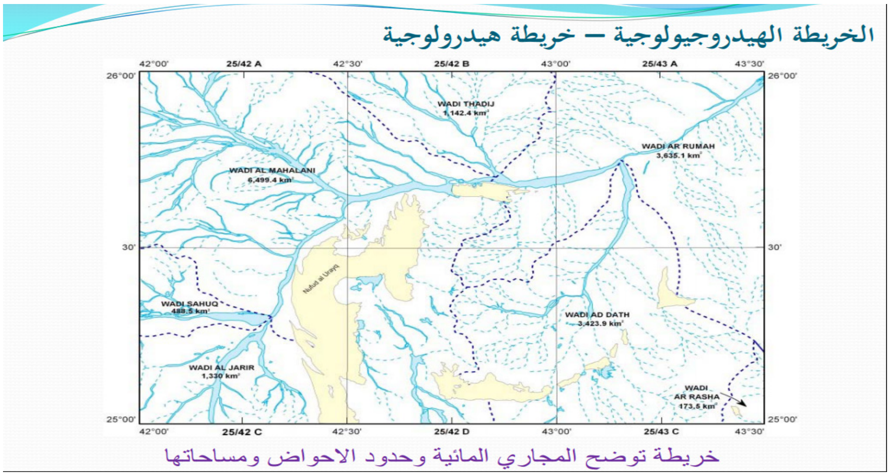

الشكل (١) يبين تخطيط الأودية. المصدر: موقع هيئة المساحة الجيولوجية بالمملكة

الإشارة الثالثة: أن في الأرض من التجاويف والشقوق والخزانات ما يكفي لخزن الماء:

وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[سورة المؤمنون: ١٨]، أي: في الغدران والمستنقعات وشقوق الأرض، وقيل جعلناه ثابتاً في الأرض. قال الواحدي: « ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات والدحلان، أقر الله الماء فيها لينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر»(١).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابلية له تشربه، ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى. وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ أي: لو شئنا ألا تمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري والبحار والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض، بل ينجر على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون، فله الحمد والمنة»(٢). وقال البغوي: «فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع؛ فماء الأرض كله من السماء»(٣).

ومما يدل على هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[سورة الحجر: ٢٢]، ففيه إشارةٌ إلى أن الله لو لم يجعل هذه الخزانات في الأرض لما انتفع الناس بماء المطر، ولساح على سطح الأرض فما انتفعوا منه بشيء. **ومعنى الخزن في الآية كما ذكر المفسرون فيه ثلاثة أقوال وهي:**

---

(١) انظر: **التفسير الوسيط** للواحدي: (٣/ ٢٨٧).
(٢) انظر: **تفسير ابن كثير**: (٥/ ٤٧٠).
(٣) انظر: **معالم التنزيل** للبغوي: (٣/ ٣٦٢).

الأول: أن الخزن بمعنى المنع أي: لستم له بمانعين فالخزن هنا المنع كما ذكره ابن جرير وغيره[1].

الثاني: أن خزائن المطر عند الله وليست عندكم كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: ٢١] وهذه في سياق ذكر المطر[2].

الثالث: أي: لستم بقادرين على خزنه وجمعه لولا أن الله جعل في الأرض صدوعاً وشقوقاً أسكنه فيها ولساح على الأرض فما انتفعتم به. ذكر نحو هذا المعنى ابن كثير والشيخ الأمين في الأضواء وغيرهم. قال أبو السعود العمادي: «وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه في الغُدران والآبارِ والعيون بل نحن نخزنُه فيها ليجعلها سقياً لكم مع أن طبيعةَ الماء تقتضي الغَوْر»[3].

قلت: والذي ينظر في الطبقات الجوفية الحاملة للماء وما اكتشفه علماء الجيولوجيا يعلم أنه لو لم يخلق الله هذه الطبقات الحاملة للماء لما استطاع الناس أن يحفظوا هذه الكميات الكبيرة من الماء، التي تنزل في أوقات قصيرة، ولكن الله من رحمته سخر لعباده ما في الأرض لتقوم معايشهم على أحسن حال.

الإشارة الرابعة: أن الماء له في بطن الأرض ضغط ينتج عنه خروج الينابيع وتفجير العيون:

وهذه الإشارة مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: ٢١] ومن قوله تعالى أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [سورة يس: ٣٤]، والينبوع في اللغة من النبع، قال ابن فارس: «النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْعَيْنُ كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا نُبُوعُ الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْبُعُ مِنْهُ يَنْبُوعٌ. وَالنَّوَابِعُ مِنَ الْبَعِيرِ: الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَسِيلُ مِنْهَا عَرَقُهُ. وَمَنَابِعُ الْمَاءِ: مَخَارِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ»[4].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: (١٧/ ٨٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١) وتفسير السمعاني (٣/ ١٣٥) ومعالم التنزيل للبغوي: (٤/ ٣٧٦).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري: (١٧/ ٨٤) والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٤٢).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: (٥/ ٧٢).

(٤) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ٣٨١).

وفي هاتين الآيتين عدة فوائد:

منها: أن باطن الأرض إما أن يكون حوضاً لاستقرار الماء فهو كالوعاء، وهذا مثل المتكونات الجوفية الحاملة للماء ومصبات الأودية؛ وإما أن يكون شقوقاً وتجاويف ودروباً للماء، يتحدر فيها الماء من المكان العالي إلى المنخفض، فإذا مال سطح الأرض نبع الماء من أضعف نقطة في قشرتها، ليخرج الينبوع فيستقي منه الناس، ثم ينساب في الأرض مرة أخرى ليغذي تجويفاً آخر في الأرض أسفل منه.(١)

ومنها: أن للماء تحت الأرض ضغطاً يجعله ينساب بين الصخور والتراب فَيُفَجِّر طريقه من بينها بقدرة الله تعالى. وهذا الضغط ينتج إما من علو طبقة على طبقة من الطبقات الحاملة للماء، أو من تحدر المتكون بحيث يكون أعلاه في قمة جبل وأسفله في السهل، أو من حرارة في بطن الأرض.(٢)

ومنها: أن خروج الينابيع والعيون إشارة يعرف من خلالها وجود طبقات حاملة للماء في الأرض العلوية من الينبوع، تكويناتها مناسبة لتخزين الماء، فمتى وجدنا منابع العيون فثمة الخزانات والمجاري، فلابد من تغذية مصادرها العلوية لاستمرار تدفق العيون والينابيع، وذلك بالوسائل المناسبة للتغذية الجوفية، والبحث عن متكشفاتها ذات المسامية والنفاذية والنقولية المناسبة للشحن الطبيعي، وإلا فبالشحن الصناعي.

ومما يؤيد ذلك أن الأودية التي كانت بها عيون وينابيع وكانت قد جفت منذ سنين طويلة، عندما أقيمت السدود المغذية لمصادرها العلوية رجعت العيون للجريان بعد إقامة السد الذي يفتح ماؤه تدريجياً على الوادي، ومن ذلك العيون التي في وادي الفرع في منطقة المدينة المنورة، فإن العيون التي تقع تحت السد قد رجعت للجريان كلها، بخلاف العيون التي تقع أعلى السد لم يرجع منها شيء. ولو لم تفتح بوابات السد شيئاً فشيئاً لتبخر الماء وما استفاد منه أحد؛ ولقد وقفت بنفسي على هذا السد وقد فُتِحَت بواباته فرأيت الماء يغور في باطن الأرض بعد مسافة لا تتجاوز الخمسة كيلومترات تقريباً من بوابة السد،

(١) انظر: الشكل رقم (٢).
(٢) انظر: الشكل رقم (٣).

وهذا دليل مادي على هذه الخزانات التي خلقها الله تعالى في أعالي الأودية التي تنبع منها العيون، وبرهانٌ على أهمية تغذيتها بمياه الأمطار والسيول.

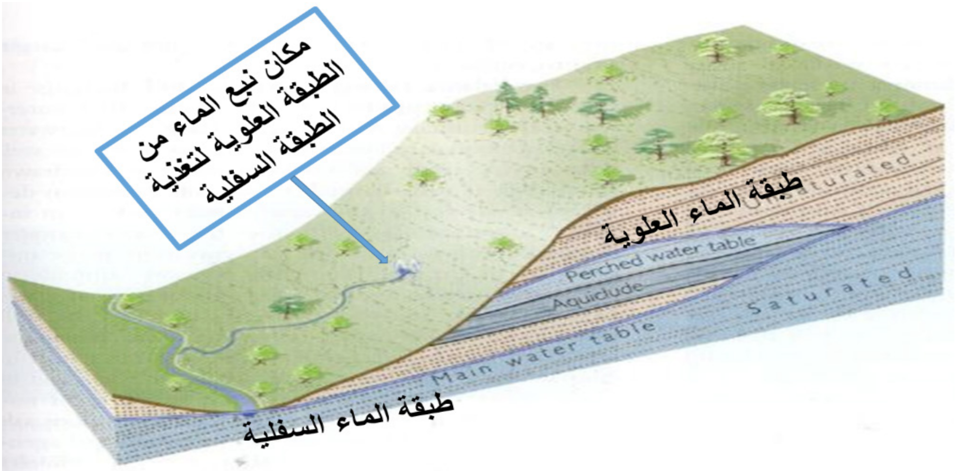

الشكل (٢) يبين نبع الماء من الطبقة العلوية من أضعف نقطة في المنحدر ثم يغذي الطبقة السفلية

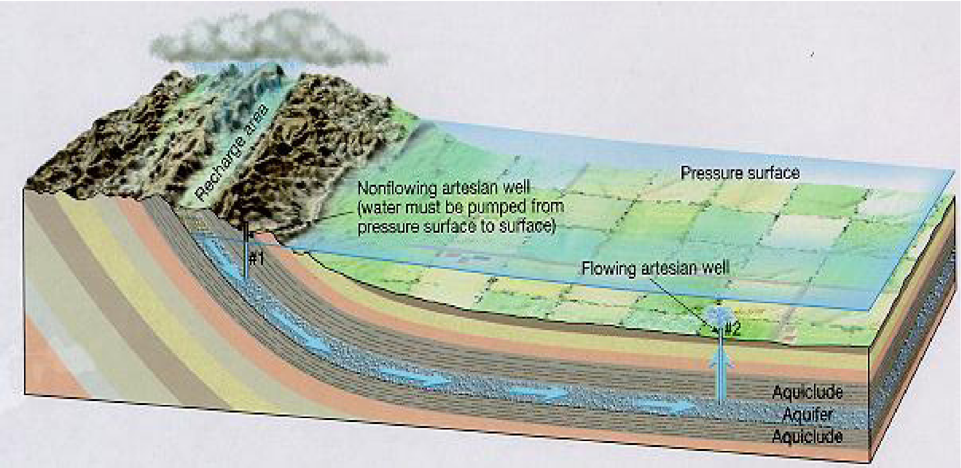

الشكل (٣) يبين انحصار الماء بين طبقتين غير منفذتين وفوهة التغذية في أعلى الجبل، وهذه المنطقة التي في أعلى الجبل هي المتكشف.

مجلة تعظيم الوحيين

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد: فبعد أن قضينا هذه الجولة المباركة، مع مياه الأمطار أهميتها واستغلالها في ضوء الإشارات القرآنية، فإنه قد آن لي أن ألخص أهم النتائج والتوصيات التي نخرج بها من هذا البحث، فأقول وبالله التوفيق:

١- إن المطر أصل كل رزق وعليه تقوم الحياة، لذا فإن القوى الكبرى تتنافس على مصادر المياه ومحاولة السيطرة عليها، لإدراكهم أهمية الماء في تحقيق التنمية المستدامة.

٢- إن في القرآن الكريم من الإشارات النفيسة النافعة في الدنيا، ما لو تنبه له الناس لكانت معينة لهم في أمورهم الدنيوية ومعاشاتهم العاجلة، كما في قصة يوسف عليه السلام.

٣- لقد خلق الله الأرض وبين لنا أنه سخر لنا كل ما فيها تنبيهاً لعباده باستغلال ما خلقه فيها وبذل الأسباب المادية اللازمة لذلك.

٤- الأسباب الشرعية الجالبة لحصول المطر هي الأصل الذي يتوجب على العبيد العناية به، لأنها نص كتاب الله ومنطوقه، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، وهي الخبر الأكيد من الخالق والمدبر والرازق، والشك في هذا أمرٌ يقدح في الإيمان وتصديق القرآن ومن أهمها حسن التدبير ومنع التبذير.

٥- ضرورة الاستفادة من التجارب السابقة في كافة دول العالم وتطويرها، فيما يتعلق بطرق التعامل مع مياه الأمطار والسيول وذلك وفق نظرية تفتيت الكتلة وتفعيل الترشيح، وتطبيقها في أحد الأودية تطبيقاً نموذجياً كاملاً لضمان النتائج.

٦- ضرورة المحافظة على مياه الأمطار والعناية بها وحفظها وتخزينها بالطرق الحديثة لتنمية المخزون الجوفي استعداداً لأوقات الجدب وقلة الأمطار كما صنع يوسف عليه السلام.

٧- ضرورة توعية المجتمع بكافة أطيافه بأهمية المياه وخطورة الإسراف في استعمالها.

نسأل الله تعالى بمنه وجوده وكرمه وفضله وإحسانه أن يحيينا سعداء، ويميتنا شهداء، ويرزقنا مرافقة الأنبياء، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكتب له القبول، وأن يغفر لنا خطايانا، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٣- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م

٤- **أمراض القلب وشفاؤها**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية- القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٥- **الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما**، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٦- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد القسطلاني، (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٧- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨- **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس- ١٩٩٧م.

٩- **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية- القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٠- **تفسير القرآن العظيم،** لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر- بيروت- ١٤٠١هـ.

١١- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،** لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب- ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

١٢- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٣- **تاج العروس من جواهر القاموس،** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٤- **تفسير الشعراوي**- الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات.

١٥- **تفسير القرآن العظيم،** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ط: الثالثة- ١٤١٩هـ

١٦- **تهذيب اللغة،** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

١٧- **تفسير القرآن،** أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨- **كتاب: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، مؤلف الأصل: محمد بن حبان الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علي بن بلبان (المتوفى: ٧٣٩هـ) مؤلف التعليقات الحسان: محمد ناصر الدين الألباني، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

١٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير الطبري أبي جعفر، دار الفكر- بيروت- ١٤٠٥هـ.

٢٠- **الجامع الصحيح المختصر**، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٢١- **الجامع الصحيح أو سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٢- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وأطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة.

٢٣- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٤- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

٢٥- **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، دار الفكر- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦- **سنن أبي داود،** لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٧- **السنن الكبرى،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

٢٨- **السنن الكبرى،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنات، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.

٢٩- **شعب الإيمان،** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ، ط: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني.

٣٠- **صحيح الجامع الصغير،** وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط:الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٣١- **صحيح سنن ابن ماجة،** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٢- **صحيح سنن أبي داود،** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٣- **صحيح سنن الترمذي،** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، ط:الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٤- **صحيح مسلم بشرح النووي،** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٣٩٢هـ، ط: الثانية.

٣٥- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت.

٣٦- **ضعيف سنن ابن ماجة،** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

٣٧- **ضعيف سنن أبي داود**، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، ط:الأولى ١٤١٢هـ.

٣٨- **ضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط:الأولى ١٤١١هـ.

٣٩- **ضعيف سنن النسائي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط:الأولى، ١٤١١هـ.

٤٠- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٤١- **الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٢- **العظمة**، أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٣- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٤٤- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٤٥- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مكتبة الرشد- الرياض- ١٤٠٩هـ، ط: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٤٦- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت، ط: الأولى.

٤٧- **اللباب في علوم الكتاب،** أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

٤٨- **المجتبى من السنن،** لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ط: الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٤٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي- القاهرة، بيروت - ١٤٠٧هـ.

٥٠- **المستدرك على الصحيحين،** لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ط: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٥١- **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،** مؤسسة قرطبة- مصر.

٥٢- **مشكاة المصابيح،** للخطيب التبريزي بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني نشر المكتب الإسلامي. ط: الثالثة: ١٤٠٥ هـ.

٥٣- **معجم البلدان،** لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر- بيروت.

٥٤- **معالم التنزيل في تفسير القرآن،** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٥- **المفردات في غريب القرآن،** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت ط: الأولى- ١٤١٢ هـ.

٥٦- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام ال١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٧- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية.

٥٨- **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام ال١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٦٠- **الموطأ**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي- الإمارات، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

٦١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى- ١٤٢٢ هـ.

٦٢- **المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص**، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص (المتوفى: ٣٩٣هـ)، المحقق: نبيل سعد الدين جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

٦٣- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة.

٦٤- **مسند الشهاب**، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٦٥- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

٦٦- **مسند الحميدي**، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق- سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.

٦٧- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٦٨- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م.

مجلة تعظيم الوحيين

No. (2)

Rainwater: Its Significance and Use in Pursuit of Quranic Instructions.

Dr. Abdul-Hay bin Dakheel Allah Al-Mohammadi

Research theme:

Rainwater as highlighted in certain verses of the Glorious Quran.

Research aims:

To prove the sufficiency of rainwater for fulfilling people's needs when they behave well in using water and stop wasting it.
To highlight the significance of taking legal and material means to maximize benefit from rainwater.

To highlight the concern of the Quran about water in general and rainwater specially.

Research problem:

What are the Quranic verses, which refer to utilizing rainwater for fulfilling the needs of people?
What is the validity of the view that the stop of rain is irrelevant to committing sins?

Research results:

The research paper concluded that Allah has created underground cavities to keep water and help reserve rains. Water springs are some of its signs, which are mentioned in the Quran. Man can take water from those springs either naturally or artificially.

Keywords:

Water – rain – the Glorious Quran – saving water – extravagance

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

The opinions expressed in this publication are those of the authours.

All rights reserved for Journal of Cherishing
the Two Glorious Revelations

Ministry of Culture and Information license
No. 8044, dated 14/4/1436AH

ISBN 1438/9939
28/1/1438AH
ISNN 1658-774X

Contact Information

All correspondence should be addressed to the editor-in-chief

mjallah.wqf@gmail.com

Journal of cherishing the Two Glorious Revelations, Endowment of Cherishing The Two Glorious Revelations, Al-Rawabi District, Madinah,P.O. Box 51993, Post code 41553, Kingdom of Saudi Arabia

Phone No. +966148493009, Ext.115

Mobile No. +966535522130

Twitter: @Journaltw

Kingdom of Saudi Arabia,
Madina, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet صلى الله عليه وسلم

وقف تعظيم الوحيين

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholary, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur’an and the Elevated Prophetic Sunnah

Vol. 4 , Issue 2, 1440AH- 2019AD

Kingdom of Saudi Arabia,
Madinah, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

وقف تعظيم الوحيين

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur’an and the Elevated Prophetic Sunnah

This issue’s articles:

- **The Foundations of Quranic Methodology in Elucidating Quranic Verses Pertaining to Legal Injunctions.**
  Dr. Adel Rashad Ghoneim.
- **Rain Water: its Significance and Use in Pursuit of Quranic Directives.**
  Dr. Abdulhy bin Dakheel Allah Al-Mohammadi.
- **Dictionary of Reported Quotations in the Quran.**
  Dr. Yahya Mohammad Amer Rashid.
- **The Sunnah's Welfare of Persons with Special Needs.**
  Dr. Mohammad Sayyid Ahmad Shihatah.
- **Prophetic Tradition on the People of the Highly Elevated Grades of Paradise: Study of Transmission and Meaning.**
  Dr. Sulayman bin Saleh Althinyan.

Appendix of Papers Submitted by Post Graduate Students:

- **Methods of Reception and Delivery of Hadith According to Quran Reciters: an Empirical Analytical Study.**
  Maryam bint Hamdy bin Mohammad Nawfal

4

Vol. 4, Issue 2, 1440AH - 2019AD